العدد (١٢٢) الاربعاء - ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ ٢٦ / ١١ /٢٠٠٨

وهم يعيشون خريف العمر

المتقاعدون: انظارنا تتجه الى وزارة المالية

بغداد ـ باهر غالي :

جلست بالقرب من ابي محمد الذي علمني اول حروف الكتابة ، وتربطني علاقة حميمة بابنه الوحيد الذي هجر البلاد قبل اكثر من عشرة اعوام ، لم يهتم لأمري ، ولم يكترث بي فربما لم يتذكرني بسبب الزمن الطويل الذي غير ملامحي، مثلما غير ملامحه، كنت ارقبه بامعان وهو يرتشف دخان ناركيلته ، رغم ان جمرها انطفأ واصبح رمادا بلا روح ، ولا ادري لم خطر بذهني ، ان جسده النحيف الضئيل ذا الثمانين عاما ، يشبه الى حد ما بقايا الجمر الذي اصبح رمادا في رأس ناركيلته التي اخذت نسائم الريح تذروها رويدا رويدا ، حاولت مرة اخرى ، ان اقتحم عالمه الخاص في ذلك المقهى المكتظ بالاجساد الذاوية ، وتصاعد دخان الناركيلات ولفافات السكائر نحو سقف المقهى الواطئ ، حتى كون طبقة ضبابية ، واصبح هذا المكان ملتقى لعشرات المتقاعدين يجترون فيه بقايا ذكرياتهم وبطولاتهم ومغامراتهم ، رغم المحطات المحزنة الكثيرة التي تخللتها، ولم تتواجد فيها ، الا محطات متباعدة لذكريات سعيدة ، هذا المكان الذي يرتاده بشكل يومي، واصبح قضم ساعات النهار الفارغة ، وارتشاف الناركيلة طقسا يوميا لحياته ، وفي لحظة تأمل لوجهه الذي غزته التجاعيد وفمه الأدرد ، انطلقت ضحكة منه ، وكأنها اعلان لحالة الصمت التي كانت تطبق بالمكان ، وعندما ضحكت مع ضحكاته ، انتبه لي عندها وتأملني على مهل ، ابتسم وعندها عرفت ان ذاكرته استعادت ملامحي ، ها انت صاحب الشامة السوداء ، احتضنني بعنف ، وكأنه يعتصر حنان سنوات عمره ليغمرني فيها ، حنان كان يختزنه لإبنه هشام الذي سكن الغربة ، وتركه وحيدا يعاني الم اللوعة والفراق والوحدة ، وكأنه يريد ان يفرغ شحناته من خلال جسدي ، كان يكابر خوفا من دمعة تسقط رغما عنه ، وعندما قلت له انا ابنك مثلما هشام، عندها لم يتمكن من حبس دموعه بين اجفانه الرقيقة ، وحينها امتزجت العبرة بالدموع ، وعندما سألته لم ، لم تسافر حيث يقيم ولدك ؟ ضحك حتى بانت اسنانه التي تساقط الكثير منها ، بفعل لفافات السكائر ومعاول السنين، ثم قال : وهل تعتقد اني استطيع ان اقلع جذري من هذه الارض بسهولة ، فنحن جيل الفنا الصبر ، والالم والمرض المر، حتى استمرأناه ، ثم اردف : في اخر مرة ودعت فيها ولدي هشام قبل سفره قال لي : سأراك بعد ان تنجلي الغيوم وهاهي الغيوم القديمة انجلت ، لكن غيوم اخرى قدمت الينا ، وغطت سماءنا ولا ندري متى تنقشع ، ولو انقشعت يا ترى هل في العمر متسع ، لكي نرى النور وحلاوة الحياة !؟

هذا جزء من الحوارات التي اجريتها مع المتقاعدين ، ولمست فيها الكثير من الهموم ، مثلما لمست فيها الكثير من الاحلام المؤجلة ، التي يتمنون ان تتحقق بعد سنوات عمرهم العجاف.

في احدى المقاهي القريبة من دائرة التقاعد ، التي انتعشت اعمالها لكثرة ارتيادها من قبل المتقاعدين ، ابصرته جالسا على تلك الاريكة الخشبية ، ضمن تلك الجموع التي تعيش خريف العمر، بكل همومه ومشاكله وهي لا تزال تحتفظ بشيء من الامل ، رغم الصدور اللاهثة التي اتعبها المرض ، وتركت السنين الكثير من اثارها على وجوههم المتعبة ، كان يجلس بينهم ، يرتشف دخان ناركيلته المزركشة ، ويرمقها بتأمل ، ربما ليشعر نفسه انه لا زال كائنا حيا يتنفس وعلى قيد الحياة ، عندما اقتربت منه على مهل

حدثني السيد احمد سعيد الوائلي حقوقي متقاعد قائلا : بعد خدمتي للوطن اكثر من ٣٤ عاما، امضيتها في الوظيفة بكل اخلاص وتفان ، فلا اجد ان هناك اهتماما حقيقيا بشريحة المتقاعدين ، التي ظلمت ظلما فادحا من قبل نظام صدام ، والذين عانوا ما عانوا بعد احالتهم على التقاعد ، فهم محرومون من مختلف الامتيازات التي يحصل عليها المتقاعدون في دول العالم ، فهل يعقل ان يعيش المتقاعد على بضعة الاف من الدنانير ؟!

ما اضطرهم الى العمل وهم في ارذل العمر، لتوفير لقمة العيش الشريفة ، وحتى بعد زوال النظام الصدامي وتحسن الرواتب بعض الشئ فتراهم يقفون طوابير طويلة، امام المصارف ودوائر التقاعد، تحت اشعة شمس الصيف المحرقة وبرد الشتاء القارس من اجل استلام الراتب التقاعدي والكثير منهم لا يقوى على الوقوف على قدميه ، فكيف الوقوف والانتظار لساعات طويلة في ظل هكذا ظروف ؟

ويشاركه زميله المتقاعد ابراهيم خليل اذ يقول : في كل دول العالم يحظى المتقاعدون برعاية خاصة ، توفر لهم كل اسباب الراحة والاستقرار كالرواتب المجزية ، والضمان الصحي ، وتخفيض اجور النقل العام ، كما ان بعض الدول تقوم بتعيين افراد متخصصين للعمل على خدمة المتقاعدين ، خصوصا اولئك الذين لايستطيعون خدمة انفسهم ، بسبب المرض او العجز، وتقوم مؤسسات حكومية بدفع اجور هؤلاء الموظفين الذين يقدمون المساعدة والخدمة لكبار السن، كما ان الدولة تقوم وبشكل مستمر بمراقبة مستوى الخدمات التي تقدم لهؤلاء المسنين.

والحكاية تقول ، منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي ، هناك اناس بذلوا اجمل سنوات عمرهم وشبابهم ، لاجل خدمة بلدهم ، فمنهم من خدم في مؤسسات الجيش والكهرباء والصحة والبلدية وغيرها من الوظائف ، ليكافئ في نهاية المشوار ببضعة الاف من الدنانير ، وبقي المتقاعدون في دوامة الحاجة المستمرة ، فباعوا تباعا ماأقتنوه في سنوات عمرهم ليعيلوا انفسهم ، وليلقموا افواههم ، من اجل الاستمرار في الحياة ، وبعد ان تغير الحكم في العراق ، استبشر العراقيون خيرا، ومن بين المستبشرين شريحة المتقاعدين ، اذ اخذوا يحلمون بمستقبل ربما يكون افضل من سابقه ، يحلمون براتب يسد حاجاتهم ، ورغم التحسن في المرتبات ، الا ان ارتفاع الاسعار في كل شئ ، يبقي الحال على ماهو عليه ، وكأن شيئا لم يتغير.

ولم تتوقف الحكاية عند هذا الحد ، فالسيدة سعاد علي تواصل الحديث فتقول : توفي زوجي بنوبة قلبية في عام ١٩٨٩ وكان موظفا في وزارة الزراعة ، وكان راتبه (١٤٠) دينارا يوم كان الدينار دينارا ومرت الايام وتغيرت احوال الدينار وقيمته بسبب الحصار الاقتصادي نتيجة سياسات صدام الهوجاء وحروبه ومشاكله المستمرة مع الدول المجاورة ، واصبح هذا المبلغ لا يساوي شيئا ، واضطررت الى عدم استلامه لقلته لكونه لا يكفي لاجرة السيارة التي تقلني الى سكناي في حي العامل الى المصرف في مركز المدينة ، وبعد ان تم تعديل رواتب المتقاعدين في اخر سنوات حكم صدام ، اصبح راتب زوجي (١٥) الف دينار لكل ثلاثة اشهر بعد اضافة ٥ الاف لكل شهر، وبعد معاملة طويلة عريضة ، استلمنا المنحة وكانت هي لا تكفي لاتكفي لاكثر من ثلاثة ايام ، ولو كان المرحوم حيا ، لمنعني من استلام هذا الراتب الهزيل ، ثم تضيف : لقد تجرعت الهوان والضيم من اجل تربية اطفالي ، ولكن بعد زوال الطاغية ، كل العراقيين وليس المتقاعدين يتطلعون الى الانصاف ، فأنا قنوعة ، واتمنى ان يخصص لنا راتب يسد احتياجاتنا الضرورية فقط ، فقد تحملنا قسوة النظام المباد بما فيه الكفاية وجاء الزمن الذي ننصف فيه.

المتقاعد هاشم عواد يكمل الحكاية فيقول : بعد احالتي على التقاعد عام ١٩٩٧ عشنا ظروفا مأساوية ، بسبب سياسة الرواتب الممنوحة للمتقاعدين في عهد النظام السابق ، وتأملنا من المسؤولين الجدد ، ان ينصفوا المتقاعدين ، وفعلا تحسن الراتب ولكن كل الزيادة التي حصلت عليها تذهب الى الاسعار المرتفعة التي حصلت في الاونة الاخيرة ، فعلى سبيل المثال انا استلم (٢٢٥) الف دينار لكل ثلاثة اشهر أي ٧٥ الف دينار لكل شهر، ادفع منها(٧٠) الف دينار للبيت عفوا للغرفة التي اسكن فيها ، بعد ان كان في السابق (١٥) الف دينار، فلم يبق من الراتب سوى(٥) الاف دينار، فهل يكفي هذا المبلغ لاعالة عائلة لمدة شهر، مع الارتفاع الهائل للاسعار، ولجميع الخدمات والسلع ، فبالامس حصار اقتصادي واليوم حصار الاسعار وكأن شيئا لم يتغير.

في اعقاب سقوط صدام ، تشكلت جمعية رعاية المتقاعدين وهي احدى منظمات المجتمع المدني التي انتشرت في العراق بعد سقوط النظام بشكل غير مالوف ، والتي اخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق المتقاعدين ، والمطالبة برفع رواتبهم ، الى الحد الذي يصل بهم الى مستوى الاكتفاء بالراتب التقاعدي لسد احتياجاتهم ، يقول رشيد النجار احد مسؤولي الجمعية : ان مطالب الجمعية لا تقف عند حدود الراتب فقط ، بل نسعى للحصول على المزيد من الحقوق التي قد يعتبرها الكثيرمن العراقيين ، ضربا من الخيال في عراق اليوم ، فالمطالب تتلخص في رفع المستوى المعاشي للمتقاعدين ، وفقا لما هو سائر في الدول المتقدمة ، انطلاقا من مبدأ رعاية حقوق الانسان ، وما نصت عليه الدساتير في العالم ، وشمول المتقاعدين بالنقل المجاني ، والتأمين الصحي وتوفير مجمعات سكنية ملائمة لهم ومراكز ترفيهية كالنوادي الاجتماعية والثقافية والمتنزهات وتاهيل المتقاعدين من الذين لديهم القدرة على العمل في مختلف التخصصات ودعم من يرغب منهم بفتح ورش او محال للعمل.

المطالب مشروعة وجميلة ، ولكن كيف السبيل الى تنفيذها في بلد مازال يعيش ظروفا اقتصادية وسياسية وامنية غاية في التعقيد ، لكل ما لهذه الكلمات من معنى فالبطالة تجاوزت نسبا عالية والبنى الاقتصادية هدت بيد اعداء العراق ، ولكن مازلنا نامل جميعا ان الحاضر والمستقبل سيكونان لنا ، بجهود الخيرين من ابناء العراق ، ولا بد ان يحصل كل ذي حق على حقه، بعد سنوات من التهميش والتجويع الجماعي من قبل الطغاة الذين جثموا على صدر العراق اكثر من ثلاثة عقود ، ولعل المتقاعدين ، اول الشرائح التي ظلمت ولا بد ان يأتي اليوم الذي يستعيدون به حقوقهم ، التي يتمتع بها نظراؤهم في مختلف دول العالم ، ومن يدري لعل الايام القادمة تجود علينا بما شحت به الايام الخوالي ، وتحقق امنياتنا في عراق حر ينال فيه كل العراقيين ، حقوقهم كاملة غير منقوصة متمثلا بعيش يليق بشعب كشعب العراق صاحب اعظم حضارة في التاريخ الانساني لم لا والعراق بلد الخيرات والنفط.

لا يوجد اهتمام حقيقي بشريحة المتقاعدين ، التي ظلمت ظلما فادحا من قبل نظام صدام ، حيث عانوا الكثير ، فهم محرومون من أبسط الامتيازات التي يحصل عليها المتقاعدون في دول العالم ، فهل يعقل ان يعيش المتقاعد على بضعة الاف من الدنانير

اليوم الحاسم

اليوم ستحسم معركة اتفاقية سحب القوات الأجنبية من العراق في مجلس النواب ، بعد أن شهد المجلس قراءتين لها ، وباتت آراء الكتل والأحزاب السياسية أكثر وضوحا ، ما بين مؤيد ومعارض ، وفي هذا ودون شك تعبير عن أجواء حرية الرأي التي يعيشها العراق والتي يكاد ينفرد بها من بين أنظمة المنطقة عموما ، فاليوم سيحتكم ضمير الشعب العراقي أمام هذه الاتفاقية المصيرية عبر ممثليه ، في ملف هو الأعقد والأخطر من نوعه بين الملفات ، باعتبار ان الوضع الأمني في العراق لم يستقر بالكامل بعد ، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التفجيرات الأخيرة غير المسبوقة التي شهدتها العاصمة ، وكأنها رسالة واضحة تؤكد ضرورة الابقاء على القوات الأمريكية لمرحلة قادمة ، دون أن نعرف دوافع هذه التفجيرات التي يبقى يدفع ثمنها العراقيون الأبرياء بدمائهم وأرواحهم ، فعدم اكتمال قواتنا الأمنية أكده السيدان وزيرا الدفاع والداخلية بصفتهما الأكثر اطلاعا وقربا من الواقع الأمني ، وعليه فان الوقت لم يحن بعد لنقول وداعا للاحتلال ، فالأسلحة والتجهيزات لم تكتمل وخصوصا في جانب الدفاع الجوي ، فضلا عن عدم وصول الجانب الاستخباري الى المستوى الذي يؤهله لاستلام زمام المبادرة ، وكذلك مجهولية مصير ودائع العراق المالية في المصارف الأمريكية والأوربية ، كل هذا وغيره يتطلب قرارا وطنيا خالصا للعراق يبتعد عن الأنانية الحزبية والفئوية ، التي عودتنا وللأسف الشديد بعض المكونات السياسية ، التي تتأرجح مواقفها دون أدنى وضوح ، فالشعب بات يعي جيدا من يعمل لمصالحه العليا ، ومن يعمل لمصالحه الشخصية او لمصالح كتلته وفئته ، ومقابل كل هذا فاننا وللأسف نرى ان البعض من السادة أعضاء مجلس النواب قد غادروا العراق متوجهين الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ، التي من الممكن تأجيلها للعام المقبل ، وكأن أمر الاتفاقية لا يعنيهم ، متناسين ان مرضاة الله جل وتعالى تكمن بمقدار ما يقدمونه الى رعيتهم في مرحلة تاريخية يعي أهميتها حتى أطفال المدارس الابتدائية ، وهذا لا يعني سوى الهروب من المواجهة ، ان لم نقل أكثر من ذلك ، فقد يؤثر صوت واحد على مجريات التصويت في جلسة البرلمان اليوم ، سواء كان ذلك مع أو ضد الاتفاقية ، وعلى أية حال ندعو الله أن يغفر لهم ذنوبهم في بيته العتيق ، والى يوم قريب لا نرى فيه أي جندي محتل بعد العام ٢٠١١ على أبعد تقدير.

المحرر

هواتف تهمك

شرطة النجدة	١٠٤
سيطرة الدفاع المدني	١١٥
الاسعاف الفوري في الباب الشرقي	٨٨٨٧٦٣٨
الاسعاف الفوري في البياع	٥٥٣٢١٠٣
الاسعاف الفوري في الحرية	٥٢١٥٣٥١
الاسعاف الفوري في الاعظمية	٤٢٢٧١٩٠
قاطع نجدة الرصافة	٨٨٧٣٣٤٥
قاطع نجدة الكرادة	٧٧٩٦٦٢٥
قاطع نجدة الكرخ	٥٣٧٤٢٠٤
قاطع نجدة الكاظمية	٥٢١٣٧١٠
الخط الساخن لوزارة الداخلية	٧٧٨٤٠٧٦
الخط الساخن لوزارة الداخلية	١٣٠
الابلاغ عن الارهابيين والمجرمين	٠٧٩٠١٧٣٧٧٢٣

حالة الطقس اليوم

المحافظة	الحالة	درجة الحرارة العظمى	درجة الحرارة الصغرى	درجة الرطوبة
بغداد		٣٣مـ	٢١ مـ	١٥
الموصل		٢٨مـ	١٨مـ	١٣
البصرة		٣٨مـ	٢٣ مـ	١٢

صباح الخير ياعرق

حين اسمع اسم بغداد ، أطير كعصفور ، يزغرد قلبي بالفرح ، اتذكر طفولتي في الشاكرية ، اصدقائي الفقراء الحالمين ، أعد اسماءهم ، واحدا واحدا ، مدرستي الابتدائية ، اساتذتي الطيبين ، حديقتها الخضراء الجميلة! مواكب الاعراس ، كل شيء جميل في بغداد ، حتى ايام الحزن ، فهي اجمل من ايام الغربة في المنافي التي دفعنا اليها جلاوزة النظام السابق ، واليوم وانا اعيد الذكريات ، سألملم بقايا العمر ، وأعود اليك يابغداد ، وانت ترفلين بالحرية والامان ، لك حبي ، وصباحا جميلا وجديدا على اهلي واصدقائي